خبّاب بن الأرتّ

الداعية الصابر

مجيد عبد الحميد

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

محبة عبد الحميد



١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م

دار الكتاب للطباعة ـ بغداد

سلسلة تاريخ الصحابة



خباب بن الارت

الداعية الصابر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه .

رواه مسلم

مقدمـــة

بين يدي الرسالة

من بين هـذه التجمعات البشرية يتميز جيل الصحابة في الاسلام بمفهومه الجاد بالدعوة الى الله . وهـذه ميزة تبرز بوضوح بين يدي الداعية الصابر خباب بن الارت رضى الله عنه

[الصبر عند خباب بن الارت رضى الله عنه]

عن خباب بن الارت قال: آتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقدلقينا من المشركين شدة فقلت :

ـ ألا تدعو الله ؟

فقعد وهو محمر وجهه فقال :

ـ لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أوعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه باثنين مايصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت مايخاف الا الله .

زاد بيان والذئب على غنمه [1] .

وقال خباب بن الارت رضى الله عنه وهو يحكي عن نفسه .

رأيتني يوما وقد أوقد لي نار وضعوها على ظهري فما اطفأها الا ودك ظهري ـ أي دهنه ـ

وقال الشعبي :

(ان خبابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوه فجعلوا يلصقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم متنه).

هـــذا عن صاحب الرسالة خباب بن الارت رضى الله عنـه . أما عن الرسالة ، فهى حلقة من (رسائل تاريخ الصحابة) اتناول فيها تراجم وأخبار الصحابي الجليل خباب بن الارت رضى الله عنه وفاء لجيل الصحابة أولا وثانياً لتبقى سيرته اضاءة في طريق السائرين والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامين والله أكبر ولله الحمد .

مجيد عبد الحميد

---

(١) رواه البخاري .

خباب بن الارت

كنيته

اختلف في كنيته فقيل أبو يحيى وقيل أبو عبدالله وقيل أبو محمد .

اســـــه

خباب بن الارت بن جندله بن سعد بن خزيمة بن كعب ابن سعد بن زيد مناة ابن تميم .

نســـبه

واختلف في نسبه فقيل خزاعي وقيل تميمي والصحيح على رأي بعض المحققين تميمي وخزاعي بالولاء وزهري بالحلف .

حاله فى الجاهلية

ان هذا المخلوق (الانسان) كثيرا ما يضيع نفسه فيعبد بشراً أو بقرا أو أصناماً لاتبدي حرا كا انه مخلوق لخالق كرمه ووضع فيه قيماً وخصائص عجيبة تميزه عن هذا الكون الهائل وانه لربما يصر ويعاند أن يذل نفسه للطاغوت هذا ما كانت

عليه حالة مجموعة بشرية فخمة انتسب لها خباب بن الارت فعاشوا تحت وطأة التصورات الخرافية لا يملكون ان يقولوا (لا) لذا لحق خباباً من ظلم الجاهلية وطغيانها ما لحق المجموع كله حتى ذل رقبته وحنا ظهره بعد أن حجبوه عن مصادر المعرفة فما كان يلقى في نفوسهم غير دروس العبودية فكانت بنفوسهم هذه المؤثرات الكاذبة لكي يرتقي الطغاة ويأمنوا مقاعدهم، هذا ما كان، فعاشوا بذلك اقزاماً لا يملكون حقائق يعيشون في ظلها فلحقهم جراء هذه التصورات الفاسدة التي يعيشونها والفساد الاجتماعي السائد والتكوين القبلي المتخلخل سباء من بني عامر فقتلوا أباه وحمل هو وأمه العجوز وأخته الى مكة فتفرقوا فأصبح كل لدى عائلة واما خباب فاشترته امرأة تدعى (ام انمار) بنت سباع الخزاعية من خزاعه وكانت من حلفاء بني عوف بن عبد الحارث ابن زهرة .

وفي هذا البيت نشأ خباب بعيداً عن أهله وجعل له حانوتا يعمل فيه ـ صنعة الحدادة واشتهر بصنعة السيوف .

نـــور الله

آن لمكة أن ترى نور الله يسري في شعابها وآن لقريش أن تنتقل من الامية الى بشريه مفكرة لا تنساق بلا دراية ولا تهرع بمقولة (نعم) أو ترفع الايدي لتصفق بما لا تؤمن ، فقد جاءها نور ينقلها من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا الى سعة الاخرة ومن جور الحكام الى عدل الاسلام .

وهذا هو وحده الذي يحقق للبشرية في كل زمان ومكان أساس وجودها المتين ولادتها الحقة فيساعدها أن تحمل الفعالية الذاتية على التغير والبقاء لايجاد المجتمع الانساني النظيف من وطء السياط وتسلط الطغاة وهذا مانراه جاليا في علاقة الصحابي بالمجموع وعلاقة الدعوة بالصحابي. ان هذه التصورات النافذة الى اخص خصائص الانسانية دفعت الصحابة الى أن تحمل نور الله الى كافة المجتمع عامتهم وخاصتهم وبالمقابل تفتح قلوب الجماهير الى تقبل الدعوة . وقد كان لخباب بن الارت رضي الله عنه حصة من نشاط الصحابة في الدعوة الى الله وان يقتبس من هـذا النور فـربما ما استجاب لداعي الله راغبا

طائما فكان اسلامه سادس ستة أي قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم .

قال مجاهد : (أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية) .

مقاومة

ان استقرار الاسلام في قلوب الصحابة والعمل لأجله ، وبالتالي حدد مفاهيمهم وقيمهم ومهماتهم تجاه الحياة . كان مدعاة لان يكونوا خطراً يهدد قيم الجاهلية وكيان الجاهلية فتحدث الناس بهذا الدين الجديد حتى لم يبق بيت الا ودخله هذا الحديث . فأحست قريش أن محمداً ﷺ بدأ يعرض للناس ديناً تحتاجه البشرية لكي تنتظم حياتها ويعتدل أمرها وينقذها من البؤس المادي المخيم ومن سطوة الطغاة المتجبرين الى عدل الله فتعرضوا له يستهزئوا به ويعذبوا اصحابه ، وهم يقصدون من ذلك استمرار سيطرتهم وحماية نفوذهم باخلاء الساحة من هؤلاء

الدعاة وحملة النور الرباني. وكان ذلك امراً طبيعياً لأنهم يعلمون جيداً ان هـذا الدين يكفر بكل مفهومات الجاهليـة وكياناتها المتعددة. كما أنهم عرفوا أن هـذا الحقد الاسود لايثني أصحاب الدعوة عن حمل دعوتهم ومواصلة سيرهم، فهم عرفوا جيدا أنهم يقابلون مجتمعاً تقليديا وسلطة جاهلية قد الغت عقلها لذلك زادهم هذا الموقف الوحشي من أهل الجاهلية ايمانا وتمسكا فاستمروا يرفعون لواء التوحيد من تحت السياط ليحاربوا الافكار الخاطئة والمعتقدات الفاسدة.
وقد أخذ ذلك من خباب كثيرا وكانت أهم الوسائل التي تعرض لها هي :

أولا: لقد تفننت الجاهلية في ايقاع الاذى فاستعملوا جميع صنوفه كي يترك خباب دين الله وتخلو الساحة منه أو يكتموا صوته فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف (وهي الحجارة المحماة بالنار) ولووا رأسه فلم يجبهم الى شيء مما أرادوا منه.

وذكر ان عمر بن الخطاب سأله ذات يوم عما لقي في ذات الله فكشف ظهره فقال عمر :

ما رأيت كاليوم ؟
قال خباب ـ يا أمير المؤمنين لقـــد اوقدت لي نار فما
اطفأها الا شحمي .
وعنه وهو يحكي عن نفسه :
رأيتني يوما وقد أوقدلي نار وضعوها على ظهري فما اطفأها
الا ودك ظهري (أي دهنه). لم يكن يوما أو ليلة انما كان
ذلك مرارا ... ولكن هل داهن بأمر الدعوة وهل فكر
بالازدواجية (النفاق) لا والله بل قد عرف أنه هذا هو الطريق
ومن لا يحتمل فلا يعطل مسيرة القافلة المباركة .
عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال :
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في
ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت :
ألا تدعو الله ؟
فقعد وهو محمر وجهه فقال :
لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه
من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على

مفرق رأسه باثنين مايصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله (زاد بيان) والذئب على غنمه .

وروي مجاهد فقال :

اول من اظهر الاسلام سبعة (رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية) فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه عمه واما أبوبكر فمنعه قومه وأخذ الاخرون فالبسوهم ادراع الحديد ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ فاعطوهم ماسألوا فجاء كل رجل منهم قومه بانطاع الادم فيها الماء فالقوهم فيه وحملوا بجوانبه الا بلال

● بين خباب وأم انمار

ولما اخبرت أم انمار مولاته باسلامه صبت عليه العذاب وانزلت فيه الفتن وهذا ديدن الطغاة كلما عجزوا أن يردوا المرء عن دينه فتنوه واستعملوا سلطانهم للبطش ، فصارت تأخذ الحديد وقداحتها بالنار حتى تبيض ثم تضعها على راسه وما كان منه الا ان يحتسب اجره على الله وقد علم جيدا ان

الدعوة لابد لها من تضحيات وحينئذ ادت وجبات التعذيب شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللهم انصر خبابا :

وبعد هذا الدعاء اصبحت ام انمار تشكو الما برأسها حتى اصبحت تعوي مع الكلاب. ثم وصف لها الدواء هو ان تكوى برأسها وبالحديد الذي كوت فيه خباب !!

ومن الذي سيكويها ؟ !

إنه خباب .

ثانيا: لما وجد المعسكر الجاهلي أن ذلك التعذيب لم يصب أكثر من الجسد فكر باسلوب اخر هو الاستهزاء والاستصغار والاحتقار ظنا منهم أن هذا الاسلوب يعمل على زلزلة العقيدة.

قال ابن اسحق :

كان خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة يعمل السيوف وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى كان له عليه مال فجاءه يتقاضاه، فقال له :

يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ؟

قال خباب (بلسان الواثق) ـ بلى

قال العاص (بلسان المستهزيء)فانظرني الى يوم القيامة يا خباب حتى ارجع الى تلك الدار فاقضيك هناك حقك فوالله لا تكون انت وصاحبك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظا في ذلك .

فانزل الله تعالى فيه

(افرأيت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا * كلا سنكتب مايقول ونمدله من العذاب مدا *ونرثه مايقول ويأتينا فردا *) مريم

الاستهزاء والسخرية صورة من منطق المهزومين الذين لايجدون حجة يستظلون بها ولا قيما يدافعون عنها غير نزوات كبرياء وعناد وليس لهذا المنطق حساب عند أصحاب الدعوات والذين شدوا بصرهم الى السماء .

ثالثا: لم يكتفوا بهذا لانهم وجدوا المسلمين يزيدون تمسكا بدعوتهم وتضحية لها

(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالو حسبنا الله ونعم الوكيل) .

فأخذ ذلك من الزعامة الوثنية ما أخذ فانتهجوا أسلوبا اخر من اسلوب المقاطعة والعزلة والمحاربة بالرزق ومجال العمل لوقف الدعوة وشل الحركة وخنقها في أول خطواتها فاغلقوا حانوت خباب بن الارت الذي كان يعمل فيه بصنعة السيوف. لقد فات الجاهليون وهم يؤدون دور البطولة الكاذبة ان العقيدة قد تمكنت من القلوب فتعالت على الفتنة وان تحمل الصحابة هذه الاجواء لدليل واضح على صدق ايمانهم .

وقفــة

إن التأمل الطويل وراء صبر الدعاة وانتصارهم على الفتن ترى أنهم كانت لهم أعين تبصر الحقيقة وقلب تربى على البصيرة فعرفوا ان هذا الدين هو الحق فاستمسكوا به وعرفوا

انهذا الدين موقف ففاصلوا المجتمع على ضوء تعاليمه فكانوا اقوياء بايمانهم أقوياء أمام نفوسهم أقوياء باخوتهم. اطالوا امرحلة التربية وحضروا بكامل جدية الصراع الفكري، وقاموا بالدعوة على اساس عقائدي يعرفون لماذا يدعون؟ ولأي شيء يدعون لذلك لم تثقلهم صعوبة الحياة عن الدعوة أو يلهيهم الترف عن التجوال وحمل كلمة الحق ، وذلك لأنهم عرفوا كيف يكون انضعف وتنتصر الفتنة .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فاي قلب اشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على ابيض مثل الصفا فلاتضره فتنة مادامت السماوات والارض والاخر اسود مربادا كالكوز مجخيا لايعرف معروفا ولاينكر منكراً الاما أشرب من هواه» رواه مسلم .

فكانوا يعلمونها جيدا وفقهوا طريقها وعرفوا أنهم سيفتنون ويجلدون ويشردون ويقتلون ويحاربون في ارزاقهم وكان خباب

الذي تفجر على يديه هـذا الفقه اشارة حمراء يجب أن يعرفها الداعية الذي يريد أن يقوم بهذا الدور ويعلمها الاتباعه حتى يفاجأ .

عمر ومعلم القرآن

وتحول العبد الذليل بفعل عقيدة الاسلام الى الرجل الحر ومعلم القرآن فجاهد به يعمل على ايصاله الى بيوت المؤمنين الذين كتموا ايمانهم ويمكنك أن تجده مليا في قصة اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال ابن اسحق :

خرج عمر يوما متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من اصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين مابين رجل وامرأة ... فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له وهو يكتم ايمانه ـ اين تريد يا عمر ؟

فقال عمر ـ اريد محمدا هذا الصابيء الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله .

فقال له نعيم ـ والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمداً

افلا ترجع الى اهل بيتك فتقيم أمرهم ؟
فقال عمر ـ وأي أهل بيتي ؟

فقال نعيم ـ ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمه بنت الخطاب فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما.

فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها (طه) يقرأهما اياها فلما عرفوا قدوم عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال :

ما هذه الهيمنة التي سمعت ؟

قالا له : ما سمعت شيئاً .

قال : بلى والله اخبرت انكما تابعتما محمداً على دينه .

وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها ضربا شديدا فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه :

ـ نعم قد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدالك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فقال لاخته :

اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن آنفاً انظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا نخشاك عليها .

ـ قال : لا تخافي (وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها) فلما قال ذلك طمعت اخته في اسلامه فقالت له :

ـ يا أخي انك نجس على شركك وانه لا يمسها الا طاهر .

فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة فقرأها فلما قرأ منها شطراً قال : ما أحسن هذا الكلام واكرمه .

فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له :

يا عمر والله اني لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته امس وهو يقول (اللهم أيد الاسلام بابي الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب) فالله الله يا عمر .

فقال عند ذلك ـ دلني ياخباب على محمد حتى آتيه فاسلم

قال له خباب ـ هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من الصحابة

فاخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله ﷺ واصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع

الى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال : يا رسول الله هذا عمر ابن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب ، فاذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه. قال رسول الله ﷺ ـائذن له . فاذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجر فاخذ حجزته (موضع شد الازار) أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة وقال له :

ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما ارى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة .

فقال عمر ـ يا رسول الله جئتك لاؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمر قد اسلم ·

الهجرة إلى المدينة

لم تكن الهجرة الى المدينة أول هجرة يمارسها المسلمون أوتدخل تاريخ الحركة الاسلامية فقبل أن يهاجروا الى المدينة هاجروا الى الحبشة حين كانت القيادات الوثنية تصب غضبا على مسلمي مكة ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ووجد أنه لا يستطيع أن يمنعهم قال لهم :

ـ لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا مما انتم فيه .

الا ان الرؤية والمفهوم الذي ادخلته الهجرة الى المدينة كان امر ذا شان خطير يكمن فيه .

اولا : الانتقال من مجتمع مظلم ومعاند يستلذ للتعذيب .

ثانيا : الانتقال لاداء المهمة الكبرى والهدف المرحلي في بناء الدولة الاسلامية حتى وضع رب العزة حدا للذين لا يستجيبون فقال :

(ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آوو ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض

والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا)

وقد كان لخباب بن الارت قدم صدق في الهجرة حيث كان من المستضعفين في مكة فهاجر وهو راغب في ذلك بعد أن اعطاه الاذن الموجه القدوه رسول الله ﷺ بصحبة مؤمن آخر هو (المقداد بن عمرو) رضي الله عنه . ونزلا عند وصولهما (كلثوم بن الهدم) وبقيا عنده يقتسمان الحلو والمر حتى وفاته وقبل خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة بدر تحولا في ضيافة آخر ولم يفارقاه حتى فتحت حصون (بني قريضة) فكان مما اصاب حظهما منها السكن.

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين (جبر بن عتيك) وهو من سادة الانصار .

مشاهداته مع رسول الله (ﷺ)

ابتدأ الكل المهاجرون والانصار ـ الاوس والخزرج ـ يضعون اللبنات القوية لدولة الاسلام فجدوا للبناء والتكوين وشمروا السواعد للتأسيس بعد ان اجتازوا بقوة سياط الطغاة وتحمل الاذى وهم يحتسبون أجرهم على الله .

وكان خباب في المرحلة الجديدة من عمر الدعوة كسابق حاله شجاعاً غير هياب مقداما غير متردد واثقاً بنصر الله غير شاك أومتردد صدق البيعة وجعل من دمه سياجا لدولة الحق والعدل فشهد خباب جميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت في كل مواقع الجهاد ومواطن الحرب وكان لسان حاله امض لما اردت فاني معك .

وذلك أيضا كان شأن الجمع الذي قام بالتأسيس والذي يجب أن يكون كلما اريد اعادة البناء . ودعوة رجالها مثل خباب لن تغضب أبدا ان شاء الله .

تخاض بدرا واحداً والخندق وصفين والنهروان وبعد أن لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى لم يهن

ولم يطأطأ رأسه بل استمر في اداء الواجب جهاداً في الحرب وتبليغاً لرسالة ربه .

بكاؤه من بسط الدنيا

ان الدعوات الدينية لا يمكن أن يرسي بنيانها ناس تعلقوا بالدنيا وعبدوا شهواتهم .

وليس يبغي الاسلام في ذلك عزلة المسلمين عن الدنيا وتحريم طيباتها ولكن لكي لا تكون الدنيا غاية فتعبد أو هدفاً يوقف عنده .

(فالاسلام اعتبر الدنيا مركز التجارب والفحوص البشرية فدعا الناس لعمارتها والانتفاع بخيراتها وثمراتها ولكن من غير تفريط ولا افراط)

(ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار) انما حذر الاسلام من ان يطغى حب الدنيا على القلوب فيشغلها عن التزود لآخرتها .

قال رسول الله ﷺ

(والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط

الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم) متفق عليه .

وقال ﷺ

لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب)

عرفها خباب بن الارت فكان حذراً ان يفرح لانفتاحها أو يحزن لادبارها فانظر له وهو يعكس الفهم الاسلامي الدقيق عن الزهد الحقيقي المطلوب في حياة الدعاة .

جاء اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دار خباب بن الارت فقالوا له :

ـ ترد على محمد صلى الله عليه وسلم الحوض

قال : كيف بهذا ، واخذ يشير الى أعلى البيت واسفله وما علق به ثم قال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(انما يكفي أحدكم كزاد راكب)

ثم يبكي ... ويبكي ... وهو يؤنب نفسه على بسط الدنيا ولنسمعه وهو يتحدث بما بقى من عمره بين ماض وحاضر مترف .

لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما املك

درهم وان في جانب بيتي لاربعين درهماً ثم اتى بكفنه فلما رآه اخذ يبكي ويقول :

ان حمزة رضي الله عنه لم يوجد له كفن الا بردة ملحاء اذا جعلت على رأسه قلصت عن قدميه واذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه حتى مدت على رأسه وجعل على قدميه الا ذخر .

وعن ابي وائل شفيق بن سلمه قال دخلنا على خباب بن الارت في مرضه فقال :

ان في هذا التابوت ثمانين الف درهم والله ماشددت بها من خيط ولا منعتها من سائل .

ثم بكى فقلت

ـ ما يبكيك ؟

فقال ابكي ان اصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيء، وانا بقينا بعدهم حتى لم نجد لها موقعا الا التراب .

ان هذه الصورة السريعة في زهد الداعية الصابر خباب بن الارت تجسد لنا حقيقة كبرى كثيرا ما يغفلها الدعاة هو ان الزهد من معرفة الطريق والحاجة الماسة لأن يدخل حياة الدعاة

وفاته

لقداجتازالداعية الصابر خباب بن الارت الثانيةوالسبعين فضعف جسده وتوقف عن الحراك جراء مرض شديد .

روى الحارث بن مضرب فقال :

دخلت على خباب بن الارت اعوده وقداكتوى سبع كيات فسمعته يقول :

لولاني سمعت رسول الله ﷺ يقول (لاينبغي لاحد أن يتمنى الموت) لالفاني تمنيته وقال: لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت به فقد طال مرضي .

فأخذ الصحابة يزورونه ويدعون له وهو ينظر اليهم بعين الحبيب والداعية الذي يريد أن يعلمهم .

اخبر طارق بن شهاب قال عاد خباب نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

ابشر عبد الله ـ اخوانك تقدم عليهم غدا .

فبكى وقال :

عليها من حولي اما انه ليس بي جزع ولـكن ذكرتموني اقواما وسميتموهم لي اخوانا وان اولئك مضوا بأجورهم كما هي واني أخاف أن يكون ثـواب ما تذكرون من تلك الاعمال ما اوتينا بعدها .

وأخذ المرض يتمكن منه أكثر فاكثر ولكن هل أخذ منه أن يكون الداعية القدوة والرجل الشامخ ؟ انه برغم المرض الشديد يقول كلمته ويؤدي دوره فها هو يوصي ابنه :

يابني اذا انا مت فادفني بظهر الكوفة فان الناس اذا رأوا ذلك قالوا صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن بظهر الكوفة ثم دفنوا موتاهم خارج المدينة .

وذلك ليبطل عادة أهل الكوفة حيث كانوا يدفنون موتاهم في قبور مجاورة لمساكنهم فكان أول مدفون بظهر الكوفة (أي خارجها) .

وبعد ان كفن وصلي عليه وقف علي رضي الله عنه على قبره مواسيا اصحابه وتلامذته وأهله حيث بدأ الجيل القرآني يندر وقال في كلمته البليغة ـ رحم الله خبابا اسلم راغبا وهاجر

طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه أحوالا ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا .

وطوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف وارضى الله عز وجل .

قال الحارث بن نوفل :

سألت عبد الله بن خباب متى مات أبوك ؟

قال: سنة سبع وثلاثين وهو يومئذ ابن ثلاث وسبعين سنة .

أبو سمية

فهـرس